

مجلة أنثروبولوجية الأويان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قراءة في المنجز النقدي (العمدة) لابن رشيق المسيلي الجزائري

A Point of View on the critical work El Omda "the Basis" of the Algerian Ibn Rachik .

Djelloul daouadji abdelkader جلول دواجي عبد القادر

dawajiaek@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف-الجزائر

University Hassiba Ben Bouali Chlef- Algeria

Djillali Bouzina Mohamed /دجيلالي بوزينة محمد¹

bouzina1956@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف-الجزائر

University Hassiba Ben Bouali Chlef- Algeria

تاريخ القبول: 2019/05/28م

تاريخ الارسال: 2019/05/24م

ملخص: إن الأدب المغربي كان وما يزال يشكو من قلة الدراسات والبحوث المتعلقة به وبقضاياها العامة والنقدية بوجه خاص، فمعظم الدراسات الموجودة لا تخرج عن نتاجات النقد العربي في المشرق وأعلامه من أمثال الجرجاني وابن طباطبا والجاحظ وغيرهم، فتنوعت الدراسات حولهم وكثرت الموضوعات المقدمة حول نقدهم بينما لم يحظ النقد الأدبي في المغرب العربي وأعلامه إلا بالنزر القليل، وإن وجدت الدراسات فإن أصحابها ينعتون النقاد المغاربة بالتبعية المشرقية، كما أن هناك من يرى أنه لا وجود لما يسمى بالنقد الأدبي في المغرب الإسلامي، وابن رشيق من النقاد الذين اتهموا ونعتوا بهذا الوصف أي بالتبعية للمشرق، وقد كثرت المقولات خاصة حول مصنفه النقدي النظري "العمدة" مغفلين مؤلفاته الأخرى منه "أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب".

dawajiaek@gmail.com

¹ المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الايميل: جلول دواجي عبد القادر

تجيب الورقة البحثية المتواضعة عن آراء ابن رشيق ومجموع تصوراته في نقد الشعر لمعرفة مبلغ فطنته وحسه النقدي المرهف في دراسة كل ما يتصل بالشعر، ومقدرته على التحليل والمناقشة والتفسير وإصدار الأحكام الموضوعية في هذا المجال الذي شغل النقاد قديما وحديثا، خاصة وأنه استطاع أن يقدم إنجازات هامة لا يمكن إغفالها ساهمت في إثراء النقد العربي القديم من جهة، وساهمت في تعميق الوعي بقيمة الشعر وخصوصيته من جهة أخرى، فأعطت هذه الاسهامات المتفردة في دفع حركة النقد المغربي القديم نحو النضج والتطور، واستطاع أن يخلد اسمه في تاريخ النقد الأدبي بفضل مؤلفاته التي حظيت باهتمام الدارسين على مر العصور. لذلك فهو يعتبر علامة بارزة في النقد العربي والنقد المغربي بالتحديد.

الكلمات المفتاحية: النقد الموضوعاتي - النقد المغربي - كتاب العمدة - الجزائري ابن رشيق - اللفظ والمعنى - قضية السرقات.

Abstract :Maghreb Literature lacks studies and researches related to its general issues and to criticism in particular. Thus most of available studies are all a result of Arab criticism in the Arab Mashriq and their scholars like El Djurdjani, Ibn Tabatiba, El Djahiz and others; different studies were carried out about them and about lots of topics dealing with their criticism. Instead, literary criticism in the Arab Maghreb have had very few concern, however if studies are found, their works are called to be “following the Maashriq”. But some authors argue that there is no such a thing named literary criticism in the Islamic Maghreb. Ibn Rachik is one of those to be accused of following the Mashriq.

There are Lots of sayings especially about his theoretical critical publication Elomda, the chief, ignoring his other works such as “the model of time in the « Qairawan poets» and «Piece of goldin criticizing Arab poems »

This paper deals with the opinion of Ibn Rachik and his conceptualizing in poetry criticizing in order to shed light on his cleverness and his critical sensitivity in studying everything that has to do with poetry, also his ability to analyze, discuss, explain and make objective judgments in this field that has concerned critics in the past and at present. We should

take into consideration that he has provided great achievements that contributed to enrich the old Arab criticism on one hand, and deepened consciousness about the important value of poetry and its specifications on the other hand. These unique contributions pushed the movement of Maghreb literary criticism to evolution and maturity.

Thanks to his works, Ibn Rachik could mark the history of literary criticism, for they interested researches through many centuries; Ibn Rachik is a pundit when it comes to Arab Literary criticism.

Keywords: Critical model –Maghreb Criticism- Elomda (the Basis)-Algerian Ibn Rachik- Creativity- Poetry- the talent of choosing the adequate word- the ability to choose the adequate word -word and meaning- Steeling.

لم يحظ النقد الأدبي في المغرب العربي وأعلامه إلا بالنزر القليل، وإن وجدت الدراسات فإن أصحابها ينعوتون النقاد المغاربة بالتبعية المشرقية، كما أن هناك من يرى أنه لا وجود لما يسمى بالنقد الأدبي في المغرب الإسلامي، وابن رشيق من النقاد الذين اتهموا وعتوا بهذا الوصف أي بالتبعية للمشرق، وقد كثرت المقولات خاصة حول مصنفه النقدي النظري "العمدة" مغفلين مؤلفاته الأخرى منه " أنموذج الزمان في شعراء القيروان" و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب".

1- ابن رشيق المسيلي الجزائري قراءة في سيرته وبيئته:

هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، شاعر وأديب وناقد شهير وأحد البلغاء الأفاضل، ولد بالمسيلة (المحمدية) سنة 390هـ، وكان أبوه مملوك رومي لرجل من الأزد، وكانت صنعة أبيه في بلده الصياغة، فعلمه أبوه صنعته، وقرأ الأدب بالمسيلة، وقال الشعر قبل أن يبلغ الحلم، ولكن قريحته الوقادة لم تجد بالمسيلة مجالاً؛ فاشتاق إلى لقاء أهل الأدب. فرحل إلى القيروان سنة 406هـ (ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص10، والزركلي: معجم الأعلام، (ج2)، ص191)، وعمره آنذاك ست عشرة سنة، وتعلم فيها عند مشاهير العلماء من أمثال أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز

القيرواني، وأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي (الراجكوتي: ابن رشيق، ص 40)، واشتهر في القيروان، ومدح صاحبها «المعز بن باديس بن منصور»، فلما عرف ابن باديس مكانته من الأدب وقول الشعر، قربه، فلزم ديوانه وأخذ الصلة منه.

ومن أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن رشيق: الشيخ طاهر بن عبد الله، وعبد الكريم النهشلي، وأبو عبد الله التميمي محمد بن جعفر القزاز، وأبو إسحاق الحصري القيرواني، وأبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل الخنشي الضير، و أبو الحسن علي بن أبي الرجال..... الخ.

وكان بينه وبين ابن شرف القيرواني الشاعر مناقضات ومهاجاة؛ وذلك لأنهما كانا شاعري ابن باديس، واتصلا بخدمته في وقت واحد. ف وقعت المنافسة بينهما، وتجارجا في الهجاء. وعمل ابن رشيق عدة تصانيف في الرد عليه، وإخراج معايب أقواله، كرسالة سماها «ساجور الكلب» و«الرسالة المنقوضة».

ولم يزل ابن رشيق على ما هو عليه من التأليف والتصنيف إلى أن هوجمت القيروان، وقتل أهلها، وخرّبت دورها، وانتهبت أموالها. وقتها فرّ ابن رشيق إلى ساحل البحر الغربي، ولكن لم يمكنه المقام هناك. فعبر البحر إلى جزيرة صقلية، ونزل بـ«مازر» إحدى مدنها، فأكرمه أميرها. فلم يزل عنده إلى أن مات بمازر سنة 456هـ في أشهر الأقوال، وقيل سنة 463هـ (الزركلي: الأعلام، ص 191، وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 2، ص 76).

ومن تصانيفه: " العمدة في صناعة الشعر ونقده"، "قراضة الذهب في صناعة الأدب"، بحث فيه عن سرقات المتقدمين والمتأخرين من الشعراء؛ الشذوذ في اللغة، جمع فيه شواذ كل باب؛ "أمودج الزمان في شعراء القيروان"، كتب فيه ما عثر عليه من تراجم أدياء القيروان؛ ديوان شعره؛ ميزان العمل في تاريخ الدول، عدّد فيه أيام الملوك؛ رسالة «ساجور الكلب»؛ «الرسالة المنقوضة»؛ رسالة «رفع الإشكال ودفع المحال»، وغير ذلك من المصنفات والرسائل (الراجكوتي: ابن رشيق، ص 76).

2- الغرض من تأليف كتاب العمدة:

قد يطرح هذا التساؤل: ما الباعث الدافع الذي حمل ابن رشيق على تأليف هذا الكتاب القيم؟ وما غرضه من وراء ذلك؟ لقد أفصح ابن رشيق عن هذا الباعث وذلك الغرض في مقدمته لكتابه، حيث يقول بعد ثنائه على سيده وولي نعمته ابن أبي الرجال: "فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته وتمتثل إرادته، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن من الشعر لحكما" وروي "الحكمة"، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته، فيستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم" مع ما للشعر من عظيم المزية، وشرف الأبيية، وعز الأنفة، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه، يقدمون ويؤخرون، ويقلون ويكثرون قد بويوه أبوابا مبهمة، ولقبوه ألقابا متهمة، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه، وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ما قاله كل واحد منهم في كتابه، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص61)

3- كتاب العمدة وأقوال الباحثين فيه:

هو كتاب يتناول فن الشعر وما يتصل به وينقده؛ والنقد في هذا الكتاب يمتزج بالبلاغة، ولذلك يتحدث في جزء كبير منه عن البلاغة وفنونها.

يتألف كتاب العمدة من جزأين يشتملان على مائة وستة أبواب، راعى فيها كل ما يتعلق بالشعر بتبويب مناسب حسن. ويمكننا درج أبواب الكتاب ضمن: قيمة الشعر وأثره في حياة العرب، بيئة الشعر المكانية وجوه الزماني، حديث حول الشعراء، ملاحظات نقدية في الشكل والعروض، وبحوث في البلاغة. والذي دفع الكاتب إلى تأليفه أنه وجد أن الشعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب؛ فيعدّ فضائل الشعر والأقوال المأثورة فيه، ويذكر اختلاف الناس في مذاهبه، ويقول إنّه جمع فيه أحسن ما قالوه،

وصب آراءه بأسلوبٍ هو من قريحته وإنشائه، وجمع فيه كل شيء مع ما يناسبه، وأحسن تبويبه (التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، ص 661).

فلما ظهر للناس هذا الكتاب، أقبلوا عليه حتى وقع محسوداً لبعض خصوم مؤلفه ابن رشيقي؛ فعاابوا عليه السرقة والانتحال حتى اضطرّ على أن يدافع عن نفسه في كتابه، ويدعوهم إلى الإتيان بمثله أو ببعضه، فيقول: "وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب، ولا يستحيي من فضيحة، زعم أنّي أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب، لو سُئل عنها الآن ما علمها. والامتحان يقطع الدعوى.... وكنث غنياً عن تمجيد هذا الكتاب بالإشارة إلى من أشرت إليه، أنفاً من ذكره، وغزوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مساواته، ولكنني رأيتُ السكوت عنه عجزاً وتقصيراً" (ابن رشيقي: العمدة، ج 1، ص 04).

ولكن من يطلع على الكتاب، يعترف بفضل مؤلفه وسعة علمه، ويجد كتابه غنياً بالأفكار والآراء. فهو وإن كان يتقيد بآراء القدماء ونقلها، ولكن لم يكتب بذلك، بل ينقدها ويأتي برأيه الذي ينبعث من قريحة نفسه ونتيجة خاطره. فهو صاحب آراء يرجع إليه الفضل في اكتشافها وبيانها، ومن الذين نوهوا بأمية الكتاب وميزته بالفراة والتميز ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله» (ابن خلدون، تاريخ العبر وديوان المبتدئ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ج 1، ص 791).

ويقول القفطي صاحب كتاب "أنباه الرواة": «هو أجلّ كتبه وأكبرها، واشتمل من هذا النوع على ما لم يشتمل عليه تصنيف من نوعه، وأحسن فيه غاية الإحسان، ودُكر هذا الكتاب بحضرة القاضي الأجلّ الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني، فقال: هو تاج الكتب المصنفة في هذا النوع» (القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة. ج 1، ص 339).

ويعتقد شوقي ضيف أن «قيمة العمدة في تاريخ البلاغة ترجع إلى دقة جمعه للأراء المتقابلة في فنونها المختلفة» (ضيف، شوقي. البلاغة، تطوّر وتاريخ، ص 152).

ويقول عبد الرؤوف مخلوف: «تدور مباحث كتاب العمدة حول النقد والبلاغة، وله في ذلك الباع الذي لا يُطاوَل» (سيد رضا سليمان زاده نجفي و غلام رضا شانقي: دراسة حول ظاهرة التكرار من خلال آراء ابن رشيق النقدية في كتابه العمدة، ص 54).

4- الفِكر النقديّة عند ابن رشيق في (العمدة): من الفكر النقديّة التي تحدث عنها ابن رشيق في عمدته نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- قضايا تتعلق بالمبدع والنص الابداعي:

أ- الشعر عند ابن رشيق: يقف ابن رشيق عند تعريف الشّعر؛ فيقول: "الشعر يقوم بعد البنية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حدّ الشعر، لأن من الكلام موزوناً مقفياً وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية،" كأشياء أنزلت من القرآن، ومن كلام النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنّه شعر" (ابن رشيق: العمدة، ج1: ص 119).

وهو بهذا التعريف الذي وضعه للشعر يكون محتواه متلائماً مع الطبيعة الفقهيّة التي تضع النية في طبيعة ما تضعه من شروط للعمل الذي يرومه الناقد الجزائريّ، إنّما يهدف به إلى ما قرره النّقد الحديث كذلك بهذا الشأن، وسماه: "المقصديّة".

وتطرق إلى دوافع الشعر عنده تنحصر في: الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب، فمع الرغبة يكون: المدح والشّكر، ومع الرهبة يكون: الاعتذار والاستعطاف. ومع الطرب يكون: الشوق ورقة النسيب. ومع الغضب يكون: الهجاء والتوعّد والعتاب الموجه (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 120).

يستعرض ابن رشيق آراء غيره فيذكر أنّ مختلف الأغراض الشعرية إنّما تعود إلى قضايا رئيسية كبرى،

وكأنه بذلك يردّد ما قاله القدامى الذين زعموا أنّ "أشعر الشعراء النابغة إذا رهب، وامرؤ القيس إذا ركب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب" إذ في هذه المقولة وفي ما ردّده الآخرون من قبل تشابه كبير يتلخّص في: الرهبة، والرغبة، والطرب. ولكنّ الاختلاف حاصل في الوصف فحسب.

ب- بيت الشعر وبيت البنيان: ومن آراء ابن رشيق عنايته ببنية البيت الذي شبّهه ببيت البناء حيث قال: "والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدّرية، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون. وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية، أو كالأواخي والأوتاد للأخبية، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنّما هو زينة، ولو لم تكن لاستغني عنها" (ابن رشيق: العمدة، ج 1 ص 121).

ج- جدلية الشعر والنثر حول الأسبقية: ومن دفاعه عن الشعر يصل إلى كيفة نشأته فيقول: "وكان الكلام كلّ منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأمجاد، وسمائحها الأجواد، لتَهزّ أنفسها إلى الكرم، وتدلّ أبناءها على حسن الشيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تمّ وزنه سمّوه شعراً؛ لأنهم شعروا به؛ أي فطنوا" (ابن رشيق: العمدة: ج 1، ص 20).

د- المبدع والنص الابداعي: يتساءل ابن رشيق عن سبب تسمية الشاعر بهذا الوسم فيجيب قائلاً: "وإنّما سمى الشاعر شاعراً، لأنّه يشعر بما لا يشعر به غيره؛ فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استطراف لفظ أو ابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقص ممّا أطاله سواه من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان إطلاق اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة، ولم يكن له إلاّ فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير" (ابن رشيق: العمدة ج 1، ص 116).

إن ابن رشيق خلال تنظيره فضل الشعر على النثر فشبه اللفظ بالدر الذي يفقد جماله ورونقه إذا لم ينظم، فالشعر له أثره الجمالي وله أيضا أثره النفعي.

أما الإبداع عند ابن رشيق يعني الإتيان بالشيء الجديد الذي لم يسبق إليه، إلا أنه خص الإبداع باللفظ والاختراع بالمعنى، أما التوليد فهو محاكاة لمن سبقه من الشعراء واجترار لما قاله.

إن العملية الإبداعية عند ابن رشيق تقوم على أسس فطرية وأخرى مكتسبة، فالأسس الفطرية عنده تتمثل في الطبع أو الموهبة التي تساعد المبدع على تحقيق الاستواء في نسيج عمله الشعري واكتمال جمالياته بالإضافة إلى الحواس التي تلعب دورا فعالا في العملية الشعرية فما تقع عليه الحواس أوضح مما لا تقع عليه، وبالتالي فهي تساعد المبدع على إصابة الحقيقة أو الاقتراب منها. غير أنه أدرك أن الطبع وحده لا يكفي لنظم الشعر بل لا بد له من آليات أخرى تعضده في عمله، وتتمثل في الأسس المكتسبة منها الرواية والعلم والثقافة والدربة فإذا اجتمعت هذه الأدوات للشاعر استطاع أن يبلغ مبلغ الإجابة في الخطاب الشعري.

ويرى ابن رشيق أيضا ضرورة إعمال العقل في العملية الإبداعية فلا يكتب المبدع كل ما تمليه عليه قريحته بل لا بد من إعمال عقله حتى يهتدي إلى عناصر النص ويتمكن من تحقيق التأليف بينها وتنسيقها ليكون العمل الشعري خال من الاضطراب وسوء التأليف وعلى الرغم من ذلك فهو لا ينكر دور الطبع القوي والجيد في العملية الإبداعية واختلاف أعمال المبدعين من حيث الجودة تابع لاختلافهم في الطبع، فأقواهم طبعاً أصحهم تأليفاً وجودة، فالطبع يحقق أسباب الجمال والتميز.

أقر ابن رشيق أيضا بوجود بواعث ودواعي تساعد الشاعر على الإبداع والتركيز منها: بواعث نفسية وبواعث مكانية وبواعث مادية، فهذه البواعث تعد بمثابة الحافز الذي يدغدغ عواطف الشاعر ويدفعه إلى التعبير عما يختلج في صدره، إلا أنها تختلف من شاعر إلى آخر (مقالاتي فريدة: نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، ص 300).

2- قضية اللفظ والمعنى: اهتم ابن رشيق بالقضية وخصص لها باباً سماه "باب في اللفظ والمعنى" وقد عرض فيه جملة من الآراء المختلفة تخص الموضوع قائلاً: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة. ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته: كابن الرومي، وأبي الطيب، ومن شاكلهما: هؤلاء المطبوعون"، وذكر أن الذين يؤثرون اللفظ فرق مختلفة وذكر ثلاثة منها:

- 1- قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع.
- 2- وفرقة أصحاب جلبة وقعقة بلا طائل معنى إلا القليل النادر.
- 3- ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فغني بها، واغتفر له فيها الركافة واللين المفرط" (ابن رشيق: العمدة، ج1، ص117).

كان ابن رشيق يتمتع بحاسة فنية غاية في الرقة والرهافة والدقة، وله في النقد آراء تصور جانباً هاماً من جهود النقاد، حتى نهاية القرن الرابع الهجري فقد أبدى رأيه في كثير من القضايا النقدية الهامة، ومسائل علم الجمال، ولعل من أهم تلك القضايا، قضية اللفظ والمعنى أو ما يسمى بالشكل والمضمون ولقد أولى النقد العربي مسألة اللفظ والمعنى عناية كبيرة وقد انقسم نقاد العرب فيها إلى طوائف، فمنهم من نظر إلى

مقومات العمل الأدبي، فأرجعه إلى جانب المعنى مغفلا شأن اللفظ، وآخرون أرجعوهما إلى اللفظ ومنهم من ساوى بين اللفظ والمعنى (مرتاض محمد: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، دراسة وتطبيق، ص70).

لقد استفتح ابن رشيق بحثه في هذه القضية ببيان رأيه حول الطبيعة الثنائية بين اللفظ والمعنى، وتقدير مدى الارتباط بينهما، ومنزلة كل منهما وتأثيره في الآخر، قرر أن اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بع اللفظ، كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجتمع معنى يحتل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى، لم يصح له معنى، لأننا لا نجد روحا في غير جسم البتة" (ابن رشيق: العمدة ج1، ص 117).

إن ابن رشيق حاول أن يقف موقفا وسطا في قضية اللفظ والمعنى، غير أنه لم يستطع أن يخفي ميله إلى تفضيل الألفاظ حين صرح بأن أكثر الناس يميلون إلى العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف أما المعاني فهي موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والحاذق.

3- قضية الطبع والصنعة: إن قضية الطبع والصنعة شغلت فكر النقاد القدامى والمحدثين وحتى المعاصرين، وقد نالت هذه القضية من اهتمام ابن رشيق، فأفرد لها بابا مستقلا عنوانه (باب في المطبوع والمصنوع) وقد حشد فيه من الآراء والملاحظات التي قيلت قبله في هذه القضية، كما أنها لم تخل من آرائه وأحكامه الخاصة.

يقول ابن رشيق: "ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم، فليس متكلفا تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بع الميل، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيب: يصنع القصيدة، ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطل عمله لذلك، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظ، أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض" (ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 129).

استفتح ابن رشيق حديثه عن القضية ببيان أن الشعر لا يخرج في طبيعته الفنية عن مذهبين: الطبع والصنعة. ثم راح يحدد مفهوم كل منهما، وأوضح أن الصنعة نوعان: مذهب صنعة يعتمد الطبع العفوي مع التنقيح والتهذيب، ومذهب صنعة يعتمد القصد والتكلف (مرتاض محمد: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، دراسة وتطبيق، ص 113).

4- قضية الجودة والقدم: عقد ابن رشيق بابا في "القدماء والمحدثين" حيث نحل من علم سابقه من الرواد واللغويين والنقاد؛ كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن قتيبة وابن وكيع وعبد الكريم النهشلي، وشيخه القاضي أبي الفضل جعفر بن أحمد النحوي، وفي (العمدة) يفتتح بحثه في هذه القضية بتأكيد وجود القديم والحديث، ما دام هناك أناس يتعاقبون ويخلفون بعضهم في عجلة الزمن، يقول: "كل قديم من الشعراء، فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله (ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 90).

وهو يرى أن الرواة واللغويين متعصبون للقديم على الجديد أو المحدث المولد، وسبب ذلك حاجتهم في الشعر إلى الشاهد اللغوي وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون (ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 91).

5- قضية الأخذ: تعد قضية السرقات الأدبية إحدى القضايا النقدية والأدبية الكبرى، ليس في تاريخ أدب اللغة العربية وحده، وإنما جميع آداب اللغات والأمم، ولا تزال هذه القضية موضع اهتمام الدارسين والباحثين المعاصرين.

أما ابن رشيق، فقد تحدث في (العمدة) عن هذه المشكلة بالتفصيل، وقد أشار في صدر بحثه إلى أن البحث في السرقات واسع جداً، وأنه لا يسلم لشاعر ادعاه السلامة منها، وذكر أن فيها أشياء غامضة خفية إلا على الحاذق البصير بصناعة الشعر، كما أن فيها أشياء فاضحة لا تخفى على الجاهل.

وقد تحدث ابن رشيق في منجزه النقدي (العمدة عن أنواع السرقات وألقابها، منها: الاضطراب : صرف الشاعر بيتاً أعجب به إلى نفسه والاحتلاب أو الاستلحاق :صرف الشاعر البيت إلى نفسه على جهة المثل أو التمثيل. أما الانتحال: فهو ادعائه البيت جملة، ولا بد يصدر هذا الادعاء من شاعر يقول الشعر، وإلا فهو ادعاء، ولا يقال له انتحال. الإغارة والغضب: أخذ الشاعر شعر غيره غلباً وقسراً. المرافدة أو الاسترفاد: أخذه على سبيل الهبة والمهدية. الاهتدام أو النسخ: السرقة فيما دون البيت. أما النظر والملاحظة أو الإلمام، فهي: تساوي المعنيين دون اللفظ مع خفاء الأخذ، ومنه تضاد المعنيين مع دلالة أحدهما على الآخر. والاختلاس أو النقل: تحويل المعنى ونقله من غرض إلى غرض، كأن يصرف من النسب إلى المديح. والموازنة: أخذ بنية الكلام ولفظه دون معناه. والعكس: هو الموازنة، إلا أنه يجعل مكان كل لفظة ضدها. والمواردة: اتفاق الشاعرين في المعنى وتواردتهما في اللفظ، وقد جمعهما عصر واحد ولم يسمح أحدهما شعر الآخر إلا بالتقاط والتلفيق، أو الاجتذاب والتركيب: فهو تأليف الشاعر البيت من أبيات غيره على وجه التلفيق والتركيب(ابن رشيق: العمدة، ج1، ص281).

إن كتاب (العمدة) لابن رشيق نال شهرة واسعة في مجال النقد الأدبي، "في جزأين وفي كل جزء عدة أبحاث قصيرة أطلق عليها أبوابا بلغت في جملتها مائة وستة أبواب، منها أربعة وأربعون في الجزء الأول واثنان

وستون في الجزء الثاني يجمع بينهما خط واحد هو الحديث عن الشعر" (أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، ص 106).

يقوم منهج ابن رشيق في الكتاب على الاجتهاد والنقل، فهو قد أخذ عن النقاد السابقين وساق آراءهم واجتهد في هذا النقل وأبدى رأيه فيه. "وتدور موضوعات الكتاب بصورة أساسية الشعر فتيين فضله، وتتحدث عن طبيعته وصياغته وأوزانه وقوافيه، وألفاظه، ومعانيه" وصفة الشاعر وصفة الناقد الأدبي وقضايا الايقاع وموسيقى الشعر والمفاضلة الأجناسية بين الشعر والنثر وأيهما أسبق في الوجود... الخ، وغيرها، وهو من الكتب التي تمثل النقد المغربي بامتياز وبخاصة النقد الجزائري القديم.

إن ابن رشيق تناول موضوعا عاما شاملا يتعلق بصناعة الشعر ونقد، ووفاه حقه من الدراسة والبحث وفق منهج علمي دقيق وشامل، بعد أن تناوله من سبقه بصورة ناقصة لا تفي بالغرض، فجاء بحثه في الموضوع والمنهج متوجا لهذا المجال من الدراسات النقدية، ويتميز أسلوبه وعباراته فيه بالسهولة والوضوح والشاعرية وخفة الروح. زمن بركة العلم أن يعزى كل قول لصاحبه كما يقال وإن من طبيعة الأبحاث العلمية أن يفيد الباحث في الموضوع المشترك ممن سبقه ويستشهد بأقواله وآرائه، لأنهم سبقوه إلى هذا الموضوع، ولأن طبيعة البحث؛ موضوعا ومنهجيا تفرض عليه مثل ذلك، فلا غرابة أن يشتمل بحث ابن رشيق على آراء النقاد السابقين، بل إن أقوال السابقين تعد من مقومات بحثه وركائزه.

إن ابن رشيق عالم متواضع وأمين صريح، أقر لنفسه موضوعا أبان عن طبيعته، واستعرض مناهج المؤلفين فيه، ثم أعلن صراحة عن منهجه هو فيه، فقد تقيّد بموضوعه والتزم بمنهجه، فجاء غنيا دقيقا سد فيه ذلك الفراغ الكبير الذي تركته دراسات من سبق من النقاد في هذا الموضوع المهم المتشعب المباحث، فقد قام بلمه وجمعه واختياره لشتات موضوعه وجزئياته من تلك الدراسات والأبحاث العام منها والخاص المختلفة موضوعا أو منهجا أو كليهما، بين تقديم وتأخير، وإقلال وإكثار، وإنصاف وإجحاف، حتى نظر

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فيها وغربلها، وأخضعها لعبقريته الخاصة، فاختار أحسن ما فيها بعد أن ضم إليها أحسن ما عنده، وأودع ذلك أشمل المناهج وأقومها.

اشتهر ابن رشيقي في كتابه العمدة، بدقة الترتيب والتبويب وجودة التنسيق والتفصيل فيها، وقد وقف عند هذا كثير من الدارسين وقفة إعجاب وتقدير واحترام، لأنه ليس كل المؤلفين يجيد رسم الخطة وتصور المنهج ودقة تنفيذه، وإنما ذلك وقف على المقتدرين من أمثاله. فكان ينظم القضايا الأدبية والنقدية المتعلقة بالشعر تبويبا لم يعهده النقد من قبله، وما ورد منه لسابقه كان عبارات أخذها هو، وجعل منها أبوابا تحتها دراسة وتفصيل ومناقشة واختيار.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن رشيقي القيرواني، الحسن بن رشيقي. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). (ط5). (ج1). بيروت: دار الجيل (1401هـ).
2. الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002م). الأعلام. (ط15). (ج2). بيروت: دار العلم للملايين.
3. الراجكوتي، عبد العزيز الميمني. ابن رشيقي. المطبعة السلفية، القاهرة: (1343هـ).
4. الزركلي، خير الدين بن محمود. الأعلام.
5. ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (تحقيق إحسان عباس). (ج2). بيروت: دار صادر، (1969م).
6. التونجي محمد: المعجم المفصل في الأدب. (ط2). (1419هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.
7. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد.. العبر وديوان المبتدئ والخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (تحقيق خليل شحادة). (ط2) (1408هـ). (ج1). بيروت: دار الفكر.

مجلة أنثروبولوجية الأديان العدد 16 العدد 01 بتاريخ 15 جانفي 2020م

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

8. القفطي علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. (ط1). (ج1). بيروت: المكتبة العصرية، (1424هـ).
9. ضيف شوقي. البلاغة، تطوّر وتاريخ. (ط9). القاهرة: دار المعارف، (د. ت)
10. سيد رضا سليمان زاده نجفي و غلام رضا شانقي: دراسة حول ظاهرة التكرار من خلال آراء ابن رشيق النقدية في كتابه العمدة، بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان، العدد 4، ربيع وصيف 1432هـ.
11. مقالاتي فريدة: نظرية الشعر عند ابن رشيق القيرواني، مخطوط ماجستير، جامعة باتنة، 2009م.
12. مرتاض محمد: النقد الأدبي القديم في المغرب العربي، نشأته وتطوره، دراسة وتطبيق، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000م.
13. أحمد سيد محمد: المصدر الأدبي، مفهومه وأنواع دراسته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.